

المعتصم بن صمادح

على فراش الموت

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاندلس في أمر مريح ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطربت ،
وقدت رواسبها من بني أمية فادت . وأصبحت كرقعة الشطرنج
يتغالب الملوك على كل بيت فيها . كل قوى يجوز ما وسع حوله ومهته ،
والعيش غلاب . والبر أوسع والدنيا لمن غلبا ،

في هذا المعترك ملك محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي (مدينة
(وشقة) وملك بنو عمه مدينة (سرقطة) . ثم غلبوه على مدينته
ثم ملك ابنه معن بن محمد مدينة (المرية) غصبها من عبد العزيز
ابن أبي عامر . وخلفه ابنه أبو يحيى المعتصم بالله وهو في سن الوابعة
عشرة . نشأ في ملك ضيق الرقعة ، فاستعاض منه سعة الخلق وبعد
الهمة ، وحلية العلم والادب ، والسخاء الشامل ، والجلود العم ، حتى
طاول المعتصم بن عباد كبير ملوك الطوائف ونافسه ، وحتى قال أمير
المسلمين يوسف بن تاشفين حينما لقيهما بالاندلس . هذان رجلا
من الجزيرة .

قال ابن خلكان :

« وكان رحب الفناء ، جزيل العطاء ، حليها عن الدماء ، طافت
به الآمال ، واتسع في مبدحه المقال ، وأعملت إلى حضرته الرجال ، ولزمه
جماعة من خول الثمراء ،

وقال الفتح بن خاقان :

« ملك أقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع في انتظام
مجالسها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت في جبين أيامه وسمها .
لم تخل أيامه من مناظرة ، ولا عمرت إلا بمذاكرة أو محاضرة ...
وكانت دولته مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم ، فلاحته بها شمس ،
وارتاحت فيها نفوس . ونفقت فيها أقلام الأعلام ، وتدقت بحار
الكلام ، كاجادة ابن عمار وإبداعه ، في قوله معتذرا من وداعه .

أعتصم بالله والحرب ترتقى بابطالها والخيال بالحيا تلتقى

المحنة موضوعة في صفوف منظمة ، ولسوء الحظ أن الفلاحين
تشاءوا من وجودها فأحرقوها .

وبدأ الناس في بحر المسيحية يفتنون آلهة الاقدمين فاعتبروا
القطعة رمزا للشيطان وحبلة للشر .

نقل النص

من أغرب العادات عند بعض سكان مصر أنه لا يرضى بقتل
ثعبان البيت وتشاء من هذه القطعة إذا حدثت ، وقد كان الثعبان
مؤملا عند اسلافنا . فالحرمة التي يحوطه به بعضنا الآن هي في
الحقيقة حرمة دينية نسبتنا أصلها وغايتها وبقي رسمها .

نقل النص

يتغافل الناس بنعل الفرس ويعلقونها على الحوائيت وابواب
المازل لتجلب السعد لساكنيها . ومن وجد نعلا في الطريق عد
ذلك حظا حسنا يستأنس به طول يومه بل طول عامه .

واصل هذا الاعتقاد ، أن نعل الفرس كانت في الزمن القديم
رمز الربة « عشتروت » فكان كل من يجد نعلا يتغافل بها كأن الربة
قد أهدتها إليه ، وربما يرجع أيضا إلى أنها تشبه الهلال

ونعل الفرس حديثة العهد في التاريخ لأنه لا يمكن أن
يعود تاريخ الحديد المصنوع منه . والحديد لم يعرف إلا منذ
ثلاثة آلاف سنة . ولذلك قد يتوهم الإنسان أن الاعتقاد
في حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المتدينين الذين
عرفوا الحديد ، وأن المتوحشين لا علاقة لهم بهذا الاعتقاد ،
ولكن الحقيقة أن هذه الخرافة آتية من المتوحشين نزلت
منهم إلى المتدينين . فعن الفرس تشبه الهلال الجديد .

والمرجح أن الإنسان كان يصنع هلالا من خشب أو عظم للتميم ،
فلما ظهر الحديد صار يصنعه من الحديد . ثم لما عرف نعال الخيل
استغنى بها الإنسان عن الآلهة القديمة وصار يعلقها على الابواب
والحوائيت بدلا منها ، للشأبة ، وبدلا من أن يرسم الهلال .
والاوربيون يتغاملون بهامتنا ويتعلقون بهذه العادة أكثر منا .

ابراهيم تادرس بنشاي

يقع

الحرص على الحياة

للعامة الأمير مصطفى الشهابي

عصر النجم المضيء

لكن تسأل الانسان عن هذه الحياة ومعناها ، ومبدأها ومنتهاها ،
ولكن أجهد نفسه بلا جدوى للحصول على جواب مقنع تسكن اليه
نفسه الكليمة من أحاجي هذا الكون . وهو بين الأزل والأبد
يمر في هذه الحياة الدنيا كأسرع من إيمامة كهربائية تظوى الارض
في أقل من ثانية !

ماهي هذه الحياة الكامنة في جنين برور النبات ، وكيف تحفظ
بعض البزور المحففة بخاصة «اللائش» عشرات من السنين ، حتى اذا
زرعت وابتلت دبت فيها الحياة فضربت «تشبها» في الارض وأبرزت
سداها فوق التراب يتلس الشمس والهواء وهو أحرص على
الحياة من الشيخ الفاني وإلهم البالي . وراقب جنود هذه التربة
كيف تحترق ذرات التراب وتتغلغل فيها سعيًا وراء الماء اللاصق
بها حيث تجد غذاءها مذاها صالحا للامتصاص . والغريب أنك
كيفها أدركت ذلك الماء دارت الجذور معه وسعت اليه كأنها تدرك
أن لا حياة لها إلا به . واذا ما وضعت حاجزا معدنيا بينها وبين
ذرات التراب المبتلة دارت حوله حتى تتخطاه ، وإن أعيها الأمر
أفرزت حوامض تذيبه ، حتى اذا ثقبته دخلت في الثقب كما يفعل
الكاء عندما يخرقون سور المدينة الحصينة ، ويدخلون من الخرق
فيستولون عليها وينعمون بها .

وانظر الى الازهار الموضوعة في نافذة غرفتك كيف تميل الى
الخارج لتستقبل الضياء حتى لكأنها تفر من الظلام الى النور .
والحفظ الاشجار المغروسة بجانب أحد الجدران كيف تجتمع باغصانها
النوامي قبيل ممرها فيا يليه كان قضبانها اللدنة لانتلذ برغد العيش
الاحيث يتأرجح النور وتلاعب الهواء . ودهزهرة تدور مع الشمس
من ميزعها الى مفرها حتى سموها عبادة الشمس . وتلك ورقة
مركة تفتح وورقاتها في النهار وتضمها في الليل مرتبة شروق
الشمس في اليوم التالي وهي أحرص ما تكون على الاتفاق من
شعاعها المتناثر . واعجب لتلك التنبه الحساسة التي يسمونها
«مستحبة» ، وخجولة اذ تنطق أوراقها عند ما يمسي الانسان ،
وتتكش اغصانها وتسداني كأنها تشع بالخيط المحسوس

دعني المطايا للرحيل واتى لافرق من ذكر النوى والنفوق -
وإني اذا غربت عنك فانما جيتك شمس والمرتبة مشرق .
وكان المعتصم ، كالمعتد بن عباد ، شاعراً مجيداً : كتب الى
الوزير الشاعر بن عمار :

رزهدني في الناس معرقى بهم وضول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم تترني الايام خلا تترني مباديه إلا ساني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع مله من الدهر إلا كان إحدى المصائب
طوى الأمير أربعين عاماً في امارته ، شاع فيها ذكره ونه
اسمه ، وحلب الدهر أشطره ، ورأى أحداثه وعبره . ثم حم القضاء
وبعث ابن تاشفين جنوده على ملوك الطوائف تمل عروشهم ، وتعفى
على آثارهم . ولقي رجلاً الجزيرة ، الصدمات الاولى فدارت على
المعتد الدائرات ، فاذا هو أسير أعغات ، وللمعتد بن عباد قصة ملأها
العبرات والزفريات .

وعلم ابن حماد بما أصاب صاحبه قللك الغم ، وثابه به الحزن ،
وكان أسعد من صاحبه جداً ، نجاه الموت من الاسار ، وأقذه
الحمام من المذلة : وب عيش أخف منه الحمام . والله ابن بسلام حين
يقول : « وكان بين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الحمام
بدا مشكورة . فمات وليس بينه وبين حلول الفاقة به الايام يسيرة ،
في سلطانه وولده ، وبين أهله وولده »

دع ما نمتي الكتاب ، وأشد الشعراء ، ودع أربعين
طواها الزمان كأنها أحلام ، وانظر المعتصم ليلة الخميس لثمان
بقي من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة — الليلة التي
طلع عليه بالردى فجرها — هاهو ذا على فراش الموت في قصره .
بالمرية ، ومعسكر ابن تاشفين على مقربة من المدينة ترى خيامه ،
وتسمع ضوضاء . ويسمع المعتصم وجبة من الجيش اللجب ،
والجند المصطخب ، فيقول كأن لم ينعم بالملك والجاه أربعين عاماً
لا إله الا الله ! فنص علينا كل شيء حتى الموت ، قالت «أروى»
أحدى جواريه :

« فسمعت عني ، فلا أنسى طرفاً الى يرفعه ، وانشاده لي بصوت
لا أكاد أسمعه ،

« ترفق بدمعك لاتفه فين يديك بكاء طويل ،
عبد الوهاب عزام